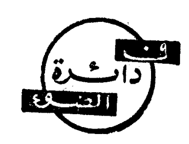
ص ١ — ٢٠

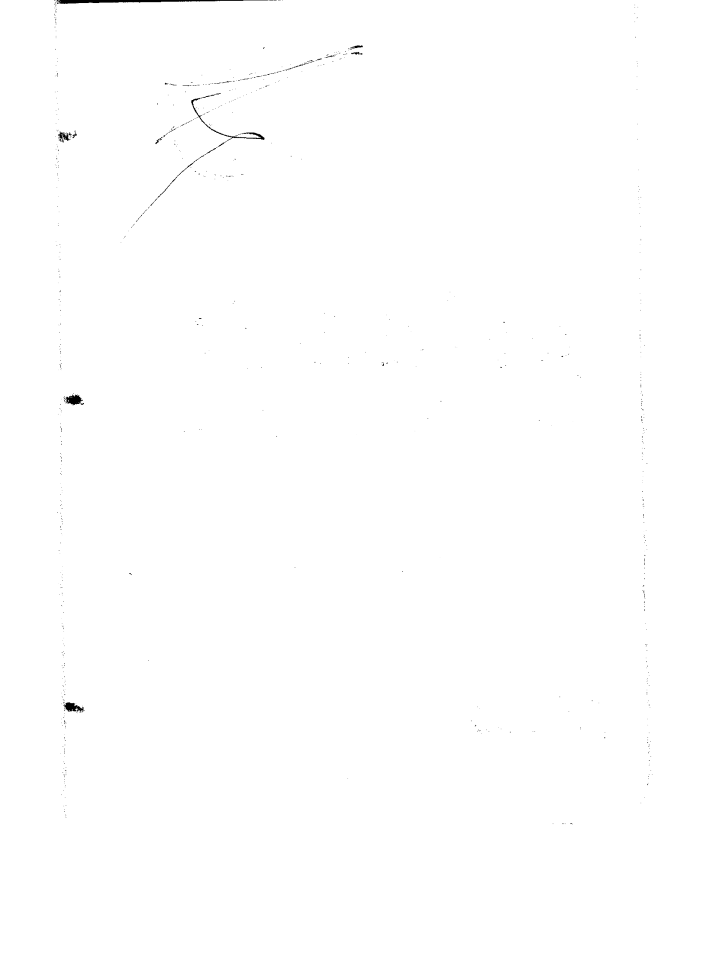


وحدة الفكر الإسلامي

مقدمة للوحدة الإسلامية الكبرى

أنور الجندي

دار الاعتصام



بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

ان العالم الاسلامى الآن بعد ان مر بمرحلة « الاستعمار » التى تمثل النفوذ العسكرى والسياسى الغربى الذى سيطر على أغلب أجزائه ، ثم انحسر عنها يواجه فى الوقت الحاضر ، مرحلة اشد عنفا وقسوة :

تلك هى : « مرحلة التبعية والاحتواء » .

هــذه المرحلة تمتد جذورها عند نهاية المرحلة السابقة والتى حرص الاستعمار على بناء قاعدتها من خلال المدرسة والصحيفة والثقافة والنفوذ الاجتماعى والتى لم تتكشف آثارها بصــورة واضحة ، الا بعــد ان انحسر النفــوذ الأجنبى السياسى والعسكرى .

وقد جاء مصاحبا لها ومتعاملا معها ما تمكنت الصهيونية العالمية من أحداثه فى بنـــاء رأس جسر فى فلسطين ارادت أن يمتد الى قلب الأمة العربية مهددا الايمان والأمن فى حمى العالم الاسلامى كله .

وقد وجدت مرحلة الاستعمار مواجهـــة صادقة بأعمال المقاومة والمعارضة والانسحاب من التعـــامل مع منظمات القانون الوضعى والربا والفساد الخلقى ، وهى مرحلة جاهد فيها الأبرار من رجالنا جهادا مستميتا عنيفا فى ميدان النضال والفكر وقدموا أرواحهم رخيصة فى سبيل دحر هـــذا النفوذ وتدميره .

كذلك لقيت « مرحـــلة الاحتـــواء » مواجهـــة صامدة من المفكرين الأبرار الذين ما زالوا منذ ثلاثين عاما أو يزيد يكشفون عن هذا الخطر الكامن ويصححون زيفه ويفندون شبهاته ويسحقون خطره الممتد الى العقيدة والمجتمع جميعا .

ولقد تعالت صيحة المقاومة للغزو الفـــكرى والتغريب والاحتـــواء الثقـــافى من كل مكان ، حتى يمكن القول الآن بأن هذه الحقيقة قد تمكنت من كل وجدان وبقى أن تكون حافزا بالارادة الصادقة لدحر هذا الخطر واستخلاص النفس الاسلامية والعقل الاسلامى من براثنها حتى تستطيع الأمة الاسلامية أن تستشرف خلال سنوات قليلة من الآن ، مرحلة جديدة باذن الله هى مرحلة « الرشد الفكرى » وتأكيد الذاتية والتحرر الكامل من التبعية والاحتواء فى كل صوره وأشكاله وفى مختلف مجالاته ، قانونا بالشريعة الاسلامية ، واقتصادا بالمنهج الاســـلامى ، ومجتمعا بالأخـــلاق الاســـلامية وتربية بأسلوب الاسلام .

ولذلك فنحن فى حاجة الى وحدة الفكر الاسلامى الجامعة التى تنطلق فيها كل قضايا الأدب والثقافة ومفاهيم الاجتماع والاقتصاد مستمدة مصادرها من دعوة التوحيد التى استعلنت من اربعة عشر قرنا وتجددت قبل قرن ونصف فكانت مصدرا لحركة اليقظة الاسلامية المعاصرة وعلامة على بزوغ فجر العصر الحديث فى العالم الاسلامى كله وذلك قبـــل وصول طلائع الحملة الفرنسية وارساليات التبشير بأكثر من خمسين عاما .

وتلك حقيقة يجب أن تظاهرها كتب الدراسات الأدبية والتاريخية ، وأن تصحح بهـــا ذلك الخطأ الشائع الظالم الذى يدعى أن الغرب هو الذى أيقظ المسلمين .

٢ — ولكى نستطيع ان نمضى فى الطريق الى الغـــاية المرتجاة علينا ان نذكر أن الأمة الاسلامية بعـــد أن واجهت « ازمة الحروب الصليبية » التى استقطبت جهدها خلال مائتى عام كاملة من المقاومة والجهاد لم تلبث أن عاشت مرحلة « مد اســــلامى » لم تتح له فرصة الوصـــــول الى الأعماق فى العقيدة ، وان استطاع ان يمتد جغرافيا الى قلب اوروبا حتى وصل الى اسوار فينا ، وامتد زمنيا الى أكثر من أربعمائة عام حمى فيها الأمة العربية من أوضار الغزو الغربى المتجدد ، فقد قامت الدولة العثمانية الاسلامية التى خضعت كأى كيان

اجتماعى لسنن الله فى الأمم والحضارات من حيث النمو والقوة والضعف والانحسار .

ولقد واجهت الدولة العثمانيـــة الاسلامية فى سنواتها الأخيرة مرحلة جمود وتخلف امسكت المسلمين عن أمرين خطيرين من أمور القوة والسيادة :

أولا : وهن القوى المادية وضعف ادوات الحرب والعتاد وعلومهما والانفـــلات من فريضة الجهـــاد الاسلامى بكل مستلزماته من مرابطة فى الثغور وحماية للمواقع ووقف دائم فى وجـــه الخطر المتحفز المترقب الذى لم يتوقف لحظـــة منذ انتهت الحروب الصليبية عن الزحف والتآمر ، وان كان قد عجز عن استئناف الجولة فى جبهـــة المتوسط الشرقية انئى كانت قوية صلبة وان كان قد طاف حول أفريقيا من الغرب وأزال كثيرا من نفوذ المسلمين فيها .

ثانيا : ضعف التيـــار الفـــكرى الاسلامى الذى التزم المسلمون بميثاق التوحيد أن يكون متجددا ناميا متصلا دائما بمنابع القرآن مستمدا قوته ونصرته من أصول الاســـلام الأصيلة من مناهج الحكم والتربية وأنظمة الاحتجاج والاقتصاد ونتيجة لهذا كله علت موجة المد الغربى التى أخذت فى تطويق عالم الاسلام وكانت تخشاه من قبـــل فلما اقتحمته وجدته هشا طريا لأنه كان قد فقد قوته المادية العسكرية وجمد تجديده الدائم المتصل واستنام الى الدعة ، وزايل طموحه

وحيويته وتأهبه لمواجهة أعدائه الذين لم يكونوا قد ناموا بل استيقظوا ، غير أن العالم الاسلامى القائم على مفهوم الاسلام وفكره المتجدد ، لم يكن لينتظر ان يوقظه أحد ما من خارج محيطيه ، فقد بدأت حركته ذاتية من قلب الجزيرة العربية فى منتصف القرن الثامن عشر الميلادى حيث حمل لواء دعوة التوحيد الامام محمد بن عبد الوهاب فكان ذلك علامة على فجر جديد اطلع المسلمين بالتماس أصول عقيدتهم ، وامتلاك ينابيع فكرهم واتخاذها جميعا مصدرا لليقظة . وقد جاءت هذه الحركة مصدقة ومؤكدة لذلك القانون الذى عرفه المسلمون خـــلال تاريخهم كله والذى انتظم ماضيهم وحاضرهم بانبعاث حركة اليقظة كلما انحرف الطريق من قلب الاسلام نفسه وبأيدى أولئك الأبرار الذين أذن الله تبارك وتعالى بظهورهم على مدى الأجيـــال واستدارة الزمان ، ومنذ ذلك اليوم والى اليوم وحركة الصراع دائرة بين قوى الغزو الأجنبى وبين حركة اليقظة الاسلامية فى محاولة للسيطرة عليهـــا وتنحيتها عن مكانهـــا واستبدالهـــا بحركة اخرى من أتباع له جرت المحاولات للتمكين لهم بالسيطرة على مقدرات التعليم والثقافة والصحافة ثم كشفت أضواء الاسلام زيفهم وأفسدت هدفهم وحررت منهم المناهج وان كانت قوى الغزو الأجنبى لا تتوقف ولا تريد أن تيأس . وما أظن المسلمين الا فى جهاد لا يتوقف لمقاومة تيار هذا الغزو .

وقد عملت حركة اليقظة الاسلامية منذ يومها الأول بوعى

عميق وجددت منهجها ووسعت أبعاد حركتها لتستوعب مخططات الغزو جميعا وقد استطاعت بفضل صدق دعاتها وقادتها ونضارة فكرها وأصالته وارتباطه بالفطرة والحق أن تستعيد الروح الأصيل الذى لم يكن للمسلمين نهضة الا به ذلك هو روح (**لا اله الا الله**) .

ولقد مضت حركة اليقظة الاسلامية الى العمل فى ميدانين متكاملين .

الأول : تحرير العقيدة من زيف الجمود والجبرية وما دخلها من أوهام الباطنية والغنوصية وشبهات المجوسية وتلفيقات الوثنية الهلينية .

ثانيا : استعادة قدرة الانسان المسلم على المقاومة والدفاع واعادة فريضة الجهاد مرة أخرى الى ساحة المجتمع الاسلامى واحياء مفاهيم النضال والاستشهاد والكشف عن صفحات التاريخ الحافل بالبطولة والمجد ومحاولة استئنافها تطبيقا واسترخاصا للأرواح فى سبيل اعلاء كلمة الله .

وقد مضت المعركة سجالا يقتحمها المجاهدون المسلمون ويثبتون فيها ، وقد ذهل الاستعمار لهذه العارضة القوية ، وغير أساليبه وخططه مرات ومرات دون أن يتحول عن غايته وحاول اقصاء العناصر القوية والنماذج الرائعة عن مجال النضال وأقام دائرة ضيقة لها نفوذ ، قصرها على رجاله

الذين كونهم وشكلهم واستأنف بهم سيطرته على مقدرات الأمم والشعوب .

وقد كشفت احداث السنوات الخمسين الأخيرة فى العالم الاسلامى كله عن فشل تجـارب الغرب بمنهجيه الليبرالى والماركسى فى مجال السياسة والاجتماع والاقتصاد والتربية ، وعجزت النظم المختلفة عن أن تقدم للنفس الاسلامية والمجتمع الاسلامى ما يسد حاجته أو يمكنه من أن يجد ذاته وتكفلت النتائج الحاسمة عن عجز التجارب الغربية بشقيها واستعلنت الحقيقة الصادقة العميقة المغزى امام العالم الاسلامى كله بأنه لا طريق له بعد ان جرب كل الطرق الا طريق واحد : هو طريق التوحيد والقرآن والشريعة الاسلامية وانه ليس له سبيل سوى الايمان بالاسلام نظام مجتمع ومنهج حياة .

ويمكن القول ان الطبول تدق فى كل مكان اليوم معلنة انها تلتمس طريقها من خلال الشريعة الاسلامية وان فريضة الجهاد حين دخلت مرة اخرى الى حياة المسلمين غيرت باسم الله والله اكبر الكثير وادالت من العدو وكشفت عن قدرات رائعة فى النفس المسلمة بحيث لا يقف أمامهـا أى خطر وكان ذلك الالتقاء على عقد الخناصر وترابط القوى ، مذهلا لقوى الغزو والاستعمار .

وهنـاك بوادر كثيرة فى تطبيقات الاقتصـاد الإسلامى

والمجتمع الاسلامى والشريعة الاسلامية سوف تحقق الكثير مما يطمع فيه أصحاب دعوة الحق وبناة اليقظة .

ولا ريب أن ذلك كله منطلق لما بعد من خطوات حتى يستطيع الباحث المسلم أن يعلن دون أن يخشى شيئا أن (عصر التبعية) بهذه الخطوات انما يتدافع الى نهايته بعد أن انتهى من قبله عصر الاستعمار وان عصرا جديدا يوشك أن يشرق فجره ، من حول الكعبة المباركة ومن الارتباط بالقبلة .

ذلك هو عصر « تأكيد الذاتية » وبناء « الرشد الفكرى » ودعم وحدة الفكر الاسلامى على نحو يؤهل المسلمين الى تقديم رسالتهم عما قريب الى البشرية كلها ، هذه البشرية التى يجتاحها القلق الصارم والتمزق النفسى الشديد والتى أوفت على مراحل اليأس القاتل ، بعد أن فشلت تجاربها خلال أكثر من مائتى عام تقريبا فى أن تقيم مجتمعا كريما أو تحرر النفس البشرية من أسرها ، فقد فشلت التجارب وعجزت الأيدلوجيات ويئس الفلاسفة الا من ضوء واحد لا يزال فى نفوسهم منه شىء هو ضوء الاسلام .

٣ — غير أن هـــذه المهمـــة الخطيرة التى هى أمانة فى الأعناق للأمة الاسلامية فى حاجة الى جهد مضاعف وعمل مكثف وهذا يتطلب بالتالى القاء أضواء كاشفة على ذلك الخلفيات البعيدة الخطر التى تبدو من وراء « حركة التبعية والاحتواء » التى تتضافر فيهـــا جهود الاســـتعمار والمادية والصهيونية وأتباعها جميعا فى مواجهة الاسلام .

ولقـــد كان للدور الذى لعبتـــه الأيدلوجية الصهيونية التلمودية فى العصر الحديث منذ الثورة الفرنسية اشارة بعيدة فى السيطرة على الفكر الغربى نفسه واحتوائها له ، وله اشارة بعيدة ايضا فى مناهج الاستشراق والتبشير والتعليم .

وعلى المفـــكرين المسلمين كشف ابعـــاد هذا المخطط حتى يسهل القضاء عليه توطئة للدخول فى مرحلة الرشـــد الفكرى المبتغاة وبين يدى هذا العمل اقدم هذه الحقائق :

أولا : من اخطر ما كشفت عنـــه الوثائق فى السنوات الثلاثين الأخيرة « بروتوكولات صهيون » وقد بدأ الحديث عنها بعد حرب ٤٨ حثيثا ثم ترجمت الى اللغة العربية بعد ذلك بقليـــل .

والمعروف ان هذه البروتوكولات ظهرت فى أواخر القرن الماضى الميلادى ، اى انها ظلت محجوبة عن المسلمين والعرب قرابة خمسين عاما لم تشر اليهـــا اية صحيفة او مجـــلة من الصحف العربية خلال هذه الفترة ويرجع ذلك بالطبع الى أن الصحف التى كانت قادرة فى هذا المجال كلها كانت من اصحاب العمالة الاستعمارية الصهيونية ، وكانت ذات ولاء واضح للماسونية وما وراءها من مخططات فلما انكشفت البروتوكولات فى منتصف هذا القرن تبين أن كثيرا مما جاء بها كان قد تم تنفيذه فعلا وفى مقدمة هذا تمزيق العالم الى كتلتين ، والقضاء على الخلافة الاسلامية والدولة العثمانية الجامعة للعرب والترك . غـــير أن البـــاحث يستطيع أن يعـــرف

أن مضامين هذه البروتوكولات التى كانت قد بدات تنكشف بعد اسقاط السلطان عبد الحميد رحمه الله عام ١٩٠٨/١٩٠٩ وعلى التو تكشف مخطط ما يعرف بالماسونية التى دخلها كثير من الأعلام المسلمين بحسن نية وظنا بأنها تعنى ما تعلن عنه مما أطلق عليه (حرية — اخاء — مساواة) ولم تكن ابعاد الأمور قد انكشفت لهم بعد على نحو ما انكشف لنا بعد ذلك . غير أن السلطان عبد الحميد كان على معرفة عميقة بهذا التيار الذى سرعان ما اتضحت آثاره بعد سقوطه مباشرة ، وجرت الاشارة اليه وقد أثبته كذلك السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار وحذر المسلمين من مخطط واسع أخذ طرفيه الماسونية والطرف الآخر هو الصهيونية .

وقد انكشف موقف السلطان عبد الحميد جليا فى السنوات العشر الأخيرة بعد أن ظل غامضا مضببا على نحو من الظلم والاتهام فى الباطل وذلك بعد أن ترجمت مذكرات هرتزل الى اللغة العربية وسجلت — والحق ما شهدت به الأعداء — ان هذا الرجل الكريم أغرى أشد اغراء ثم هدد أشد تهديد ، ولكنه صمد صمودا تاما وكان موقفه من الملايين الخمسة والخمسين من الذهب التى عرضت عليها مشرفا وكريما ، وكانت رسالته الحاسمة الأخيرة ، وهذه الوثيقة تستطيع أن تصحح الخطأ الذى عاش سنوات وسنوات فى معظم كتب التاريخ والأدب فى البلاد الاسلامية محاولا أن يلقى على شخصية السلطان عبد الحميد ظلال التشكيك والاتهام ومجافاة الحرية والعدل .

فى عام ١٩٠٢ بدأت المعركة مع السلطان عبد الحميد لاسقاط الدولة العثمانية والخلافة وكان ذلك مطابقا للبروتوكولات وفى عام ١٩٠٩ تم اقصاء عبد الحميد وفيما بعد سقطت الخلافة .

وكانت ثمار مدارس الارساليات هى القوى ذات الأسلحة الحاسمة فى مجال الصحافة والتى حملت لواء هذه الدعوة الضالة فقد كان التبشير قد ركز نفسه وأنشأ جامعاته ومن أوائل خريجيها جاء هذا الفوج الذى قاد الصحافة العربية مع الأسف فى هذه المرحلة وأعلن الحملة على السلطان عبد الحميد وعلى الخلافة وعلى الاسلام .

ثانيا : اعتقد أن البحث يقتضينا أن نذهب الى أبعد من ذلك عمقا فى التاريخ فنرجع الى السنوات التى بدأت فيها فكرة هرتزل عام ١٨٩٧ وهو العام الحاسم الذى أعلنت فيه الدعوة الصهيونية بعد أن اعدت خيوطها الأولى ممثلة فى ماركس من قبل وفرويد الذى كان صديقا لهرتزل ومشاركا له فى المؤسسات الصهيونية .

وبذلك انتظمت الخيوط كلها فى طريق واحد : طريق تهديم البشرية وسحقها توطئة للحلم اليهودى بالسيطرة العالمية .

١ ــ عن طريق اعلاء العنصرية بالدعوات المتصلة

التى أعلنها ماكس مولر اليهودى وماكس نوردو خليفة هرتزل وذلك لخلق الدعوة الى عنصرية شعب الله المختار .

٢ — عن طريق تحويل الفكر البشرى كله ناحية الطعام والمادة بما أعلنه ماركس وانجلز من نظريات للتفسير المادى للتاريخ وما يتصل بالنظرية الربوية العالمية .

٣ — عن طريق تدمير النفس الانسانيـــة بالدعوة الى تحويل الفكر البشرى كله من ناحية الجنس والغرائز واطلاقها وهو ما أعلنه فرويد .

وقد كشفت الأبحاث من بعــد عن الصلات الوطيــدة بين الفروع الثلاثة المتصلة بالدعوة الأساسية الى الصهيونية العالمية من خلال اعلاء نص محرف يفصل بين ابراهيم عليه الســـلام من جهـــة وبين ابنه الأكبر اسماعيل جد العرب والمسلمين من جهـــة أخرى واسحق جد اليهود والمسيحيين من جهة أخرى ، فى محاولة مضللة لشجب الجناح الاسماعيلى العربى المتصل برحلة ابراهيم الى مكة المكرمة ونشأة فرعه الاسماعيلى فيها .

ولقد كان دهاء الصهيونية بارعا منذ ذلك الوقت البعيد وذلك بالسطرة على مصادر العلوم وفى مقدمتها (دوائر المعارف) فقد استولى اليهود على اعادة صياغة دوائر المعارف والموسوعات العاليـــة وفيهـــا ركز الصهيونيون محاولتهم فى توجيـــه جميع المواد التاريخية على النحو الذى يشكك

فى حقائق الاسلام ووقائع التاريخ وفى علاقة المسلمين والعرب بابراهيم عليه السلام .

ولقد عمد بعض الكتاب العرب متابعة لهذا المخطط الى انكار وجود ابراهيم واسماعيل والتشكيك فى اللغة العربية وصلتها بالقرآن .

وكأنما كان ذلك نذيرا لمن ألقى السمع وهو شهيد الى ما بعد ذلك من محاولات تزييف للتاريخ الاسلامى يراد أن تجرى أولا من خلال دراسات الأدب وثانيا من أقلام كتاب عرب يتسمون بأسماء اسلامية .

وفيما يتصل بهذا ما كشفته الأخبار عن اجتماع البهائيين فى مؤتمر عالمى فى القدس المحتلة عام ١٩٦٨ وما اعلنوا من أن دعوتهم مستمدة من الصهيونية اساسا والتاريخ يثبت كيف كان لهم نشاط فى يافا ابان الاحتلال الانجليزى لفلسطين ومنه امتد الى كثير من البلاد الاسلامية والعربية وانهم خدعوا كثيرا من الناس دون أن يتبين الكثيرون مدى صلتهم بالتلمود .

ثالثا : ولكى تكتمل ابعاد الصورة اقدم هذه الوثائق المتلاحقة التى يمكن تجميعها فى اطار واحد لكى تشكل بعدا جديدا لما نريد أن نصل اليه — هذا (غلادستون) بعد احتلال مصر يقول عام ١٨٩٧ ، بعد أن يصعد الى منبر مجلس العموم ومعه نسخة من القرآن الكريم يلوح بها فى وجه

الأعضاء ويقول : « انه ما دام هذا الكتاب باقيا فى الأرض فلا أمل لنا فى اخضاع المسلمين » وكان هذا علامة انطلاقة خطيرة للاستشراق لها آثارها الكبيرة بالنسبة للمخطط الذى طرحته الشبهات فى كل مجالات الفكر الاسلامى لتوهين مفهوم الايمان بالله والصمود والمواجهة للعدو والجهاد والمجابهة للغزاة فى كل مكان وكان كرومر قد أعلن منذ عام ١٨٨٣ موقفه حين قال : « انما جئت لأهدم ثلاثة : الكعبة ، والأزهر ، والقرآن ».

وفى عام ١٩٠٧ يتقـــدم « بيترمان » الوزير البريطانى بوثيقته المعروفة التى تقول : انه لكى يظل الاستعمار قادرا فى السيطرة على المسلمين والعرب والحيلولة دون نهوضهم لابد من « اقامة حاجز بشرى » يفصل بين مسلمى افريقيا وآسيا وكان الجواب حاضرا وربما كان ذلك تمهيدا لما يراد أن يقال حيث تقدم اليهود فقالوا : انما نحن الحاجز البشرى المعادى للمسلمين ، ثم كان وعد بلفور بعد ذلك خطوة تالية على الطريق . فاذا ربطنا بين تقرير « بيترمان » وبين اسقاط السلطان عبد الحميد عام ١٩٠٩ وفتح الطريق أمام اليهود الى فلسطين عن طريق الدونمـــة والاتحـــاديين وصلنـــا الى لورنس البريطانى ودوره فى تمزيق الرابطة بين العرب والترك التى جمعهما لواء الاسلام ، وفى هذه الفترة الحاسمة استطاع اتباع المحافل الماسونية وخريجوها بين ١٩٠٩ــ١٩١٨ أن يضيعوا طرابلس الغـــرب وأن تهزم الدولة العثمانيـــة وأن يصل اليهود الى الأرض المقدسة حتى جاء اليوم الذى وقف فيه اللورد اللنبى فى القدس ليقول :

« الآن انتهت الحروب الصليبية » .

ووقف القائد الفرنسي (جيرو) فى دمشق أمام بطل حطين صلاح الدين وهو يقول : ها نحن عدنا يا صلاح الدين .

وفى نفس اليوم الذى دخل فيه الانجليز القدس بقيادة اللورد اللنبى صاح صائح يهودى يقول : ان هذه المعركة هى لحسابنا ونحن ورثة البريطانيين فى السيطرة على القدس ، قالوا ذلك قبل عام ١٩٦٧ بأكثر من خمسين عاما .

لقد كانت الحملة الصليبية باسم الدفاع عن قبر المسيح وجاءت الحملة الصهيونية باسم الدفاع عن حائط المبكى .

وكلها دعاوى تبرر الغزو فما كان قبر السيد المسيح الا مكرما فى أيدى المسلمين ، وما كان حائط المبكى محظورا على اليهود ان يصلوا اليه ، ولكنها حيـــل التاريخ وقضايا الماضى تحاول أن تحول دون وحدة المسلمين وقيـــام نهضتهم من جديد .

ونحن نعرف أن المعركة قديمـــة قدم الاســـلام نفسه وان الغرب لن يتوقف عن مهاجمـــة معاقل الاســـلام ، وانه حتى فى خلال فترة وجود الدولة العثمانية الاسلامية لم يتوقف عن التآمر عليها ، وقد أحصى الوزير الايطالى (دجوفارا) أكثر من مؤامرة على الدولة العثمانية لتدميرها فى كتابه الموسوم باسم :

« مائة مشروع لتمزيق الدولة العثمانية » .

رابعا : ولكى تكون أبعاد الصورة مكتملة تحت ابصار المسلمين لابد أن نتحدث عن ذلك العمل الذى صاحب هذه المحاولات كلها وكان عقدة العقد فيها ، ذلك هو « التغريب » المخطط والمنظمة التى تستهدف تحويل هذه الأمة الاسلامية عن أصالتها وهدم ذاتيتها وتذويبها فى اتون الفكر العالمى واحتوائها فى الأممية ، والفكر العالمى اليوم صريع الفكر الصهيونى مصاغا فى قوالب ذات طابع علمى براق خادع لأصحاب النظرة الخاطئة والفكرة الساذجة ولأولئك الضحايا الذين مازال الفراغ النفسى والروحى والدينى يجتاح نفوسهم نتيجة لقصور المناهج التربوية فى بلاد المسلمين فهم أقرب النـــاس الى التقـــاط عدوى الغزو حيث لا توجد الحصانة التى تدفع عنهم أو تحميهم من أخطار الســـهام المنطلقـــة من كل مكان .

ولا ريب أن ابرز مؤسسات هذا الغزو هما مؤسستا : الاستشراق والتبشير وقد اتخذتا مجالهما فى ميادين التعليم والثقافة والصحافة واتخذتا لهما هدفا حاسما ، وان تغيرت الأساليب والوسائل بين آن وآن حسبما تكشف التجارب وتقضى الظروف . ولقد بدأت حركتا التبشير والاستشراق عملهما على نحو عنيف عاصف واتصـــل أمرهما فى اول الأمر بالكنيسة ثم امتد الى وزارات الاستعمار فلما لم يجدا من رد فعل غير الانكار من جانب المسلمين عدلا اتجاههما فى الأربعينات تعديلا فاختفى التبشير وراء التعليم ، واصطنع الاستشراق

اسلوبا خادعا يقدم تمهيدات فيها بعض الاستحسان للاسلام ثم يدس السم بعد ذلك خفيفا خفيفا حتى لا يثير الشبهات الا بعد كسب الثقة بالتمويه . ثم سيطرت اليهودية التلمودية والصهيونية على الاستشراق والتبشير واستخدمته فى سبيل قضيتها ، كانت قضية الاستشراق الغربى فى كلمة هى اخراج المسلمين من مفهوم (الاسلام نظام مجتمع) الى مفهوم مأخوذ من الغرب يرى انه لا صلة بين العبادة والمجتمع وذلك حتى ينفسح المجال للقانون الوضعى بدلا من الشريعة وفى مجال الاقتصاد المصرفى الربوى بدلا من مفهوم ((**وأحل الله البيع وحرم الربا**)) وفى مجال الاجتماع باطلاق الغرائز وتطوير الأخلاق بدلا من ضوابط الاسلام وحدوده .

أما الاحتواء الصهيونى للاستشراق والتبشير فقد استحدث ضرب مفهوم العلاقة بين العروبة والاســـلام واعلاء شأن العنصرية وطرح نظريات باطلة فى مقارنات الأديان والأخلاق والاجتماع والتفسير المادى للتاريخ والتربية .

ولقد سئل الدكتور زويمر كبير المبشرين فى البلاد العربية فى الثلاثينيات عن فشله فى ادخال المسلمين الى المسيحية فأجاب تلك الاجابة الخطيرة التى يجب ان تكون موضع تقدير الباحثين المسلمين فى مجـــال الغزو الثقـــافى والتغريب : ان الهـــدف من التبشير ليس ادخال المسلمين فى المسيحية فان ذلك جد عسير ولكن الهدف هو اخراجهم من الاسلام .

ثامنا : فى السنوات الأخيرة سيطر الاستشراق اليهودى على الاستشراق الغربى وقدم عددا من أعلامه :

* مرجليوت وجولد سيهر وبرنارد لويس فى مجال الدراسات العربية .

* دوركايم وليفى بريل وفرويد وسارتر فى مجال الاجتماع والأخلاق (هذا بالاضافة الى ماركس) .

وبدت واجهات العمل فى أفق الفكر الاسلامى ولها صورة أخرى اشد عمقا ومكرا وهذه جريدة التيمز تتحدث عن الاسلام فى افريقيا فتقول : « كان الاعتقاد قديما أن الاسلام دين شعوب الصحراء وقد يتقدم الى الحضر ، وما كان احد يصدق انه يستطيع ان يخترق المناطق الاستوائية ويصل الى جنوب افريقيا » ليس هذا هو المهم من النص وانما المهم يأتى من بعد ، يقول : « ويختلف الغربيون فى اتجاههم الفكرى نحو مستقبل الاسلام فى افريقيا فمن قائل أن تقدم الاسلام لن يضر بالمصالح الاستعمارية اذا ما سار الاسلام فى الخطوات التى رسمها له الاستعمار بينما يرى آخرون ضرورة (الحد من تقدم الاسلام) عن طريق نشر البدع والخرافات (أى ادخال البدع المخالفة لأصل الاسلام لافساده وازالة حقيقة الاسلام عنه ثم بقاء اسم الاسلام عنوانا لها) حتى يكون ذلك بمثابة حائل يقف أمام ضغط الاستعمار المتزايد » .

وهذا نص يؤكد : أن هناك محاولتين فى مواجهة الاسلام :

الأولى : أن يتحرك الاسلام فى الخطوط التى رسمها

الاستعمار فى دائرة انه دين لاهوتى فحسب وليس دين شريعة ونظام مجتمع .

ثانيا : نشر البدع والخرافات بما يعنى تحريف المفاهيم والقيم وهذا ما يطلق عليه محاولة هدم الاسلام من الداخل .

وان نظرة واحدة الى هدف التغريب كما صوره دهاتنة الاستعمار والنفوذ الغربى ليؤكد هذا المعنى : فهم يهدفون من خلال دراسات الاستشراق المبثوثة فى معاهد التعـليم والصحافة والمؤلفات الثقافية الى انشاء عقلية عامة تحتقر كل مقومات الحياة الاسلامية وتنفر من الدين وتعمل على ابعاد العناصر التى تمثل الثقافة الاسلامية عن مراكز التوجيه . ونحن حيث نبحث النظريات الحديثة (الوافدة) المطروحة فى افق الفكر الاسلامى فى العصر الحديث ـــ يتبين لنا انها على وجه العموم بدات بكتابات المبشرين والمستشرقين ثم سلمت الى الجيل التابع الذى تشكل فى دائرة الاحتواء ، فقد حمل الدعوة الى العامية فى البلاد العربية دعاة من امثال ولكوكس وولمور وسبيتا فى مصر وكولون فى الجـزائر وماسـنيون فى المغرب ، كما تؤكد الأبحاث التاريخية أن أول من نادى بالطورانية والفرعونية والفينيقية وغيرها كان من المستشرقين ثم جاء بعد ذلك طه حسين وسلامة موسى وساطع الحصرى وعلى عبد الرازق ومحمود عزمى وغيرهم .

وقد كان هدف حركة الاستشراق واضحا وهو كما عبر

عنه أربابه يتلخص فى عبارة حاسمة : « وضع العلم فى خدمة السياسة والاستعمار » وقد استهدف غايات بعيدة أهمها :

أولا : اذابة الشخصية الاسلامية والقضاء على ذاتيتها الخاصة وطابعها المفرد واحتواؤها .

ثانيا : قطع الصلة بين حاضرها القائم وبين اصولها الاسلامية فى محاولة ربطها بماضيها الوثنى السابق على الاسلام .

ثالثا : اثارة الشبهات بهدف خلق جو من الازدراء والاستهانة بالميراث الاسلامى .

رابعا : كان الاستشراق هو المصنع الذى يقدم السموم لمدارس التبشير وارسالياته لتطبيقها فى مناهجها التى انتقلت الى المدارس الوطنية .

خامسا : استهدف هذا العمل تمزيق وحدة فكر العالم الاسلامى وتشتيته بما سمى اسلام عربى واسلام فارسى واسلام تركى وهكذا ، وبما جرى التركيز عليه من مفاهيم العنصريات واعلائها حتى ليقول (هاملتون جب) : ان أولى النتائج التى نجمت عن الغزو الفكرى انه زعزع فكرة أن العالم الاسلامى وحدة ثقافية واحدة وتسيطر عليه تقاليد واحدة .

حقا ، لقد بقيت رابطة العطف والماضى المشترك والعقيدة المشتركة ولكن امتزاج الأفكار المأخوذة من الغرب بدرجات

متفـــاوتة ، كان قـــد بدأ ينزع الى كل مملكة من الممالك الأخرى » .

وهذا هو ما يستدعى العمل لوضع قاعدة : وحدة الفكر الاسلامى ازاء كل ما يراد به وأن نبدأ فى بناء مناهجنا التربوية والثقافية والاجتماعية على هذه القاعدة .

ان العالم الاسلامى الذى يضم الآن قرابة الف مليون مســلم ويتكلم أكثر من عشر لغـــات يستطيع أن يتخـــذ من (القرآن) لغة جامعة تقوم على أساسها زعامة فكرية رصينة تقف فى وجه كل هذه المؤامرات والمحاولات التى ترمى الى تدمير ذاتيته وحصره فى بوتقة (التبعية) بعد أن بدت بوادر فجر الانطلاق نحو مرحلة : الرشد الفكرى كمقدمة لقيام المسلمين بتبليغ رسالتهم الى العالمين كرة أخرى .

وأمامى تقريران : أحدهما عن مؤتمر بلتيمور الذى عقد باشراف الصهيونية العالميـــة فى احـــدى الجامعات الغربية والذى يعد فى نظر الباحثين نقطة التحول فى اتجاه الصهيونية لتزييف التـــاريخ الاســـلامى وذلك عام ١٩٤٨ وقـــد حضر (بن جوريون) هذا المؤتمر وقاد اعماله الى هدفها ، وكان مما تقرر فيه : تنظيم ومضاعفة عمليات تزييف التاريخ العربى وطرح دراسات جديدة تحمل الشبهات التى تتصل بمؤامرة اسرائيل .

وقد اعـــدت الصـــهيونية عناصر هامة من البــاحثين استطاعوا السيطرة على كراسى دراسات التاريخ الاسلامى فى اغلب الجامعات الأوروبية والأمريكية — وذلك على حد تعبير الدكتور ابراهيم العدوى — لدعم النشاط السياسى ضد العرب فى العالم والتوصل الى خلق حركة ثقافية عنصرية تساعد على تفتيت العرب وعلى هزيمتهم أمام العالم وأمام المسلمين تاريخيا . ومن أمثلة هذه انظريات التحريفية التى يطرحها الاستشراق اليهودى محاولة تصوير العرب والمسلمين بصورة الوحشية ، ورد مقومات ثقافتهم الى أصول يونانية رومانية واحيـــاء الحركات الهدامة فى التـــاريخ الاسلامى كالقرامطة والباطنية والزنج والحلاج وغيرها .

واثارة الشبهات حول سيدنا ابراهيم وسيدنا اسماعيل وخاصة فيما يتصل بالمرحلة التاريخيـــة التى عرفت باسم الحنيفيـــة والسابقة لليهودية . كذلك تركز الصهيونية على على تخويف الغرب من قيام دولة عربية كبرى واحدة وتعيد اثارة صفحات التاريخ فيما يتعلق بالخـــلاف بين المسلمين والغرب وخاصة فى الأندلس والبلقان وغيرها . ويؤسفنى أن أقول أن كثيرا مما نشر فى العالم الاسلامى فى السنوات الأخيرة كان استجابة وتطبيقا لهذا المخطط .

الثانى : تقرير عن الحرب المعلنة على العقائد الدينية وعلى أمور الوحى والنبوة والغيب . والفلسفات المطروحة التى ترمى الى الغاء القيم الثوابت وابدالها بنظرية التطور

المطلق ، وتجاوز المعنويات والروحيات واقامة المادية وحدها كقاعدة للفكر والغاء الضوابط الأخلاقية والمسئولية الفردية والدعوة الى رفع الوصاية عن الشباب والعمل على اخراج العرب والمسلمين من اطارات الدين مما أطلق عليه بعد النكسة (علمنة الذات العربية) كذلك هناك دعوات الى اعادة طرح الأساطير والاباحيات فى أفق الفكر الاسلامى والأدب العربى عن طريق القصة والمسرح والصحافة . ومحاولات أخرى لاحياء الجاهلية العربية والوثنية الاغريقية والمجوسية الباطنية .

وقد تجد هــذه الدعوات تقبلا من شباب قليل الخبرة ممن عجزت المناهج الجديدة أن تمدهم بزاد نفسى وروحى يسد حاجتهم من القيم العاصمة من الزلل .

وهناك محاولات تضع تخلف المسلمين والعرب وهزيمتهم الماضية فى كفة فى مواجهة ضرب الفــكر الاسلامى ورميه بانه مصدر الهزيمة ، مع أنه لم يكن خلال تلك الفترة مطبقا أو معتبرا أسلوبا للحياة حتى يتحمــل مسئولية الخطــأ ، وانما تتحمل مسئولية الخطأ تلك المناهج الوافدة ، ولو التمس المسلمون منهجهم أسلوبا للحياة لما تعرضوا لهــذا الخطر ولما هزموا .

والحقيقة أن الهزيمة لم تأت الا من مصـــدر واحد ، هو التبعية واعتماد أساليب الفكر الوافد ، ثم انهم بعد ذلك لم ينتصروا الا عن طريق التماســـهم منهجهم الأصـــيل ،

الذى انتصروا به خلال تاريخهم كله وسوف يكون نصرهم حاسما ما تعمقوا هـذا المنهج واستوعبوه بالتطبيق الكامل فى مختلف مناحى الحياة .

ولقد نسى العرب والمسلمون فى مرحلة التبعية والاستعمار ان منهجهم يختلف اختلافا كبيرا عن مناهج المستعمرين من ناحية وان المستعمرين لم يقدموا للمسلمين الا كل زائف ومضطرب وفاسد ، وانهم حجبوا عامدين وما زالوا يحجبون أسرار العلم وأسباب القوة ووسائل التقدم .

ولعلى لا أعدو الحقيقة اذا رددت هذه الكلمة التى يؤلف عنها مجلد كامل ، تلك هى : « ان الأهداف الصهيونية تحولت الى مذاهب فلسفية لها دعاة ومدافعون ، وان بعض أهلنا قد استخدموا — بغير اجر ولا مثوبة — لخدمة هذه المخططات على سذاجة منهم وغرور ، وان الخطر ليس خطر المؤسسات المعروفة ، ولكن الخطر الأشد ، هو الذى يختفى وراء بريق التقدم والعلمانية والعصرية وغيرها » .

وقد آن للعرب والمسلمين ان يتجاوزوا هذه المناهج ، ان يتجاوزوا فرويد وماركس وسارتر ، الى آفاق أكثر سعة وأكثر اتصالا بذاتيتهم وقيمهم ، وهم لن يجدوا هذه الآفاق الا فى الاسلام وفى معطياته المثمرة وحلوله الحاسمة لكل ما تعانى البشرية من مشاكل وازمات وفى قضاياها الثلاثة الكبرى : الحرية والعدل والشورى .

لقد سقطت تلك المناهج الوافدة فى بلادها ، وفقدت قدرتها على العطاء وعجزت عن اسعاد النفس أو تأهيل المجتمع للطمأنينة وهى أعجز بالنسبة لمجتمع غير مجتمعها ، ولذلك لم يبق للمسلمين والعرب من سبيل الا أن يعودوا الى معطياتهم. وهى معطيات ربانية المصدر ، انسانية الطابع ، تحمل الصدق والحق واليسر بعيدا عن التعقيدات الفلسفية ، والمذاهب والأهواء ، وهى خير عطاء للبشرية لو فقهت البشرية حاجتها الحقيقية وهديت الى ذلك الضوء الساطع العميق .

ان على المتابعين للحضارة الغربية منا أن يذكروا كيف أن أصحابها قد فقــدوا الأمل فيها وهذا (أرنولد توينبى) فى كتابه : (الحضارة والغرب) يعلنها صيحة مدوية حين يقول : « ان الحضارة الغربية تمر الآن فى طور التدهور والانحلال الذى مرت به الحضارة الرومانية من قبل . من أجل هذا لم تعد فنون الصناعة أو الاقتصاد أو غيرها من المعارف كافية لتوفير الاستقرار والســعادة للمجتمع الانســانى . ذلك أن الروابط الروحية هى العمد الحقيقية التى لا يمكن أن يقوم بدونها صرح المجتمع ويتماسك بناؤه » أ.هـ فكيف اذن نلتمس من الضائعين الضوء وهم فى حاجة الى ان نعطيهم اياه . لقد استطاعت حركة اليقظة الاسلامية أن تكشف كثيرا من زيف الاستشراق وخطــل رأيه ومن أبرز وجــوه ذلك ، عجز الاستشراق نفسه عن تصور النفس الاسلامية والعقــل الاسلامى تصورا صحيحا لأسباب عديدة منها :

عجز المستشرقين أنفسهم عن فهم البيان العربى ، هذا

اذا خلصوا من تعصبهم ، اما اذا اجتمعت الأهواء مع العجز عن الفهم فانهم يكونون قد بعـــدوا تماما عن فهم المسلمين والعرب . اننا لا نغلق ابوابنا امام الفكر البشرى ، وسمة فكرنا الأساسية انه متفتح ، ولكنه قائم على قاعدته يأخذ ما يزيده قوة ويرد ما سوى ذلك ، ولقد كان المسلمون يؤمنون على مدى العصور أن الفكر الوافد ما هو الا بمثابة (مواد خام) لهم الحق فى استعمالها وتشكيلها على النحو الذى يرونه نافعا لهم ولهم الحق أيضا فى ردها والاستغناء عنها .

اننا مطالبون بأن نحمى تاريخنـــا من الزيف ، ونصون تعليمنا من مادية الفكر ، ونحن فى حاجة دائمة الى التفرقة بين الأخلاق التى هى جزء من الدين وبين التقاليد التى هى من نتاج المجتمعات ، كذلك علينا التفرقة بين مفهوم الاسلام نفسه كما جاء به القرآن وبين التطبيق التاريخى الذى أصاب فيه المسلمون واخطأوا حيث لا تعد ممارستهم حجة على الاسلام بل يكون الاسلام حجة عليهم ، علينا أن نفرق بين الأصيل والوافد ، علينـــا أن نؤكد مفاهيمنا فى الثقـــافة والتربيـــة والسياسة والاجتماع والأخلاق والقانون وأن نعرف مكانة اللغة العربية فينا ، لغة القرآن يجب أن نجرى بها على مستواه ولا ننزل عنه الى العاميات أو ما يسمى باللغـــة الوسطى فذلك كله من دعوات التغريب والغزو الثقافى .

لقد حاول الاستشراق فى طوره المعاصر أن يزيف التاريخ الاسلامى ليفسر مفهوم البطولة الاسلامية تفسيرا ماديا خالصا

وأن يثير الشبهات حول النبوة والوحى ، وأن يحاكم أعلام المسلمين الى البيئة والعنصر والعرق ، كما حاول كثيرا بالنسبة لمفاهيم النفس والاجتماع ، والأخلاق والتربية ، وهنا يبدو مدى خطر دخول العرب المسلمين فى مواجهـة مع عدوهم بمفاهيم وافدة واعتقادات مضللة . كان قد فرضها هذا العدو عليهم من قبل ليتعاملوا معه بها ومن شأن هذا أن يحول بينهم وبين القدرة على مقاومة العدو ، وهنا يبرز الخطر : خطر الاعتماد على المصادر الوافدة والنظريات الوافدة والنظر اليها على أنها حقائق بينما هى فروض تصدق وتخيب .

ولن تبدأ نهضة المسلمين الحقـة الا من خلال العقيدة الاسلامية عقيـدة التوحيد فهى وحدها العقيـدة القـادرة على اطلاق طاقتهم ودفعهم الى الآفاق . ان تقدم المسلمين والعرب لا يقوم على العلم وحده ، كما قامت نهضة الغرب فأصابها التمزق والانفصام والانحراف ولكنها تقوم على العقيدة والعلم جزء منها ولن يتحرر العرب والمسلمون ويسودوا قبل أن يتحرروا من كل قيود التبعية والغزو الثقافى .

وليعلموا أنه ليس من سبيل الى فصل هـذه المرحلة المعاصرة عن تاريخهم كله ، المتصل الحلقات الممتد عبر أربعة عشر قرنا ، والذى يتمثل منذ أن جاء الاسلام واستقر مجتمع المسلمين فى اطار لغته وعقيدته وتاريخه على نحو لا سبيل الى فصل مرحلة عن أخرى ، وحيث لا يمكن دراسة أزمة من أزمات المسلمين أو نصر من انتصـاراتهم الا فى اطار تاريخهم كله ، وليس اتصال المسلمين بالغرب فى العصر الحديث شيئا مستقلا ولكنه حلقة من حلقات متصلة تأثرا وتأثيرا ـــ فعلا ورد فعل .

ومن الحق أن نقول أن الاسلام قد أعطاهم ما تعجز مناهج الدنيا كلها أن تعطى مثله ، أعطاهم جماع الحريات والضوابط وتكامل الفردية والجماعية ، وتلاقى العلم والدين وترابط الروح والمادة ، وتلاقى الوحى والعقل وتوازن الدنيا والاخرى ، وارتباط الغيب والشهادة ، والتقاء الثبات والتطور وتتابع الماضى والحاضر .

وبعد .. فلابد أن يخرج المسلمون من مرحلة التبعية الى مرحلة الترشيد باذن الله ، ولقد قامت الحجة عليهم بما لا مزيد عليه من تجربة . فقد جربوا فكر الغرب الليبرالى وفكر الشرق الماركسى ، وامتحن الفكر الاسلامى خلال ذلك امتحانا شديدا فصمد للمحنة وثبت فى الأزمة ونجح فى الامتحان واثبت أنه أقدر المعطيات قاطبة ليس للمسلمين وحدهم بل للانسانية كافة ولذلك فلابد أن يلتقى المسلمون على وحدة فكر تكون مقدمة لوحدتهم الشاملة وبها يدخلون عصرا جديدا .

أنور الجندى

دار العلوم للطباعة
القاهرة ، ٨ شارع حسين حجازى (القصر العينى)
ت ، ٣١٧٤٨

رقم الايداع : ٤٤٣٧ / ٧٩
الترقيم الدولى : ٩-٢١-٧٣١١٨-٩٧٧